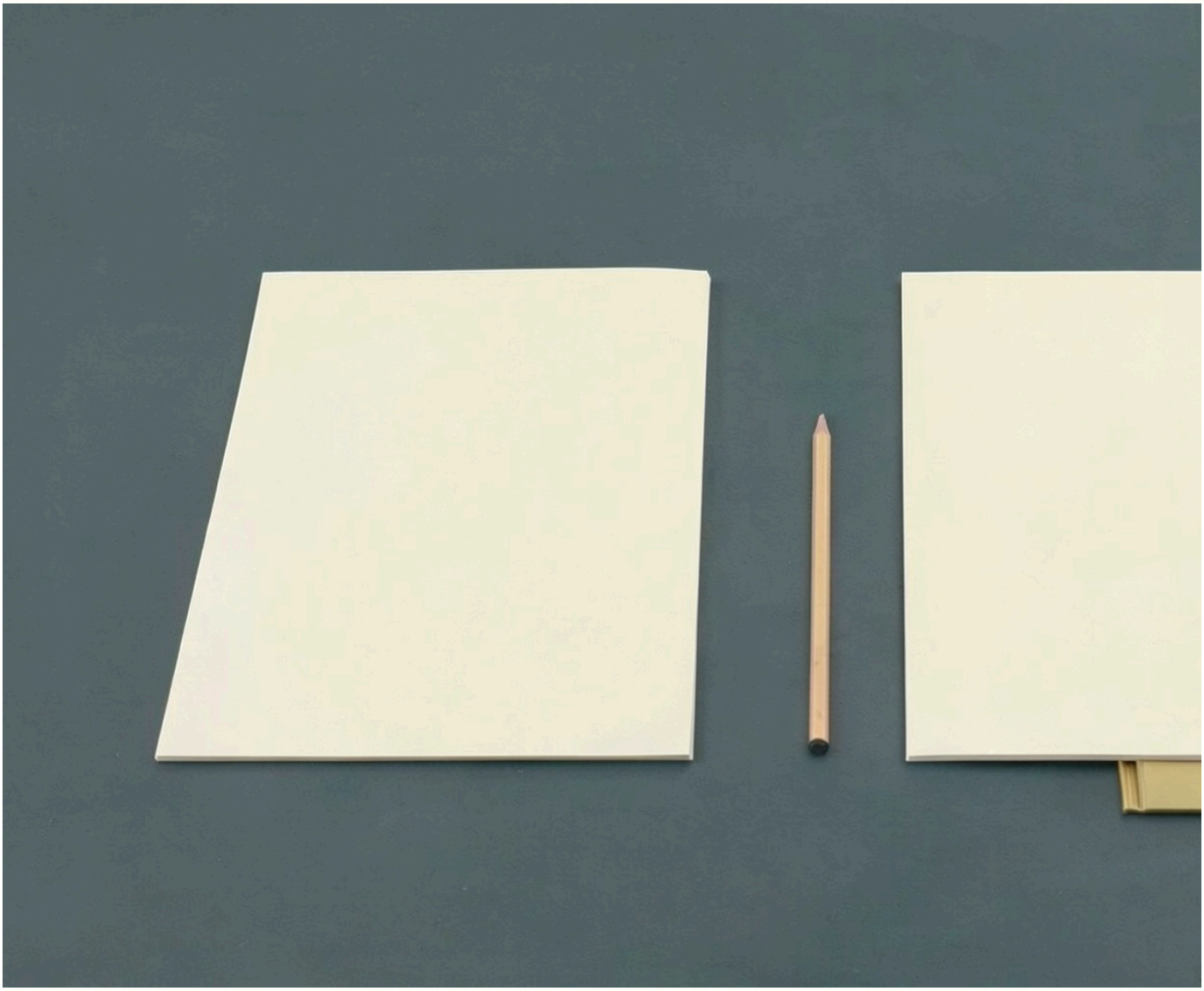
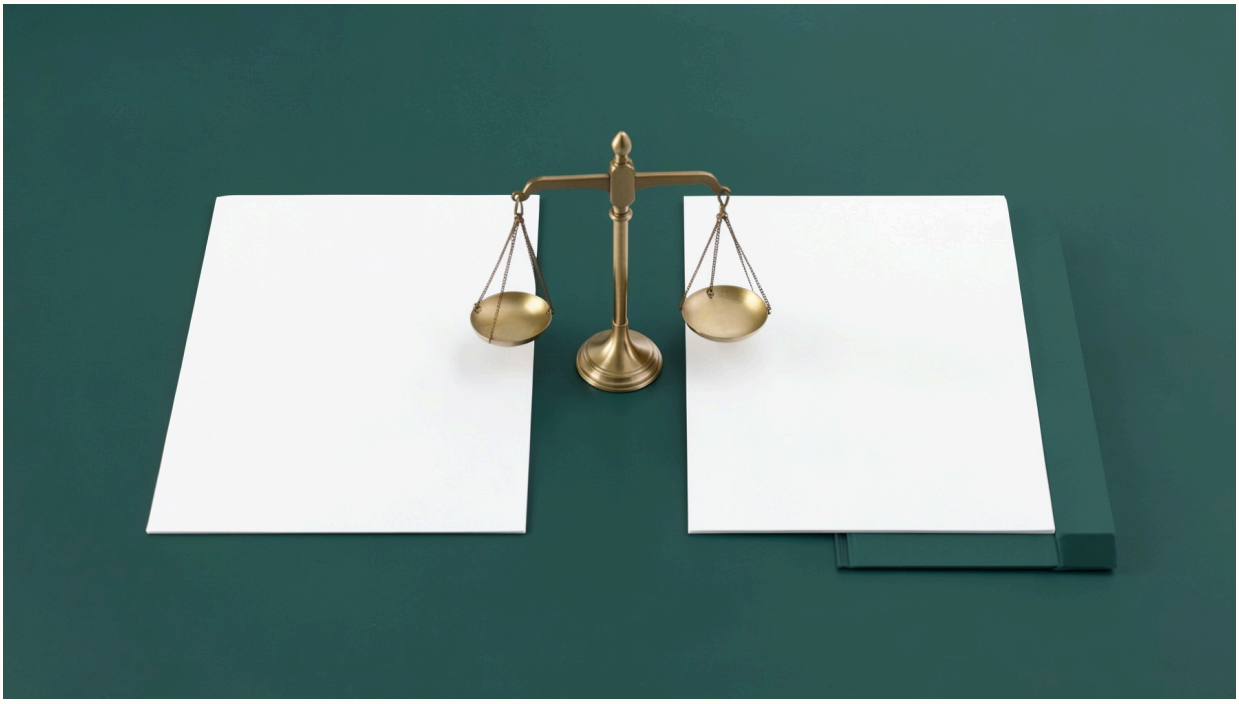
قوة تحتاج أمانة



مدارج



متى يطمئن الناس إلى صاحب القوة؟ قد يقدر أحدهم على الكلام في وقت يسكت فيه غيره، أو على اتخاذ قرار ينتظر الجميع أن يتخذه. لكن معرفة قدرته لا تجيب عن السؤال كله. يبقى أن نسأل عما حفظه وهو يستعملها، وعما كان يمكن أن يضيعه لو جعل قدرته حجة تكفي وحدها. وقد يكون أول ما يحتاج إليه القارئ أن يبطئ عند الخبر، ليرى ما حدث قبل أن يختار الوصف الذي يعجبه.

يعيننا دليل القراءة في معادن الصحب على ذلك. يبدأ من الموقف وسياقه، ثم ينظر إلى العمل الذي ظهر وإلى الحق الذي بقي محفوظًا. ويذكّر القارئ بأن ما وقع شيء، وما يظنه عن باطن صاحبه شيء آخر. لذلك يمكن أن نقف عند فعل ورد في خبر ثابت، ونتأمل ما نتعلمه منه، من غير أن نملأ موضعًا سكت عنه الراوي. وإذا احتجنا إلى نسبة كلام محدد إلى صاحبه رجعنا إلى موضعه في الأصل، لأن قرب المعنى بين روايتين لا يسوّغ تركيب عبارة واحدة منهما.

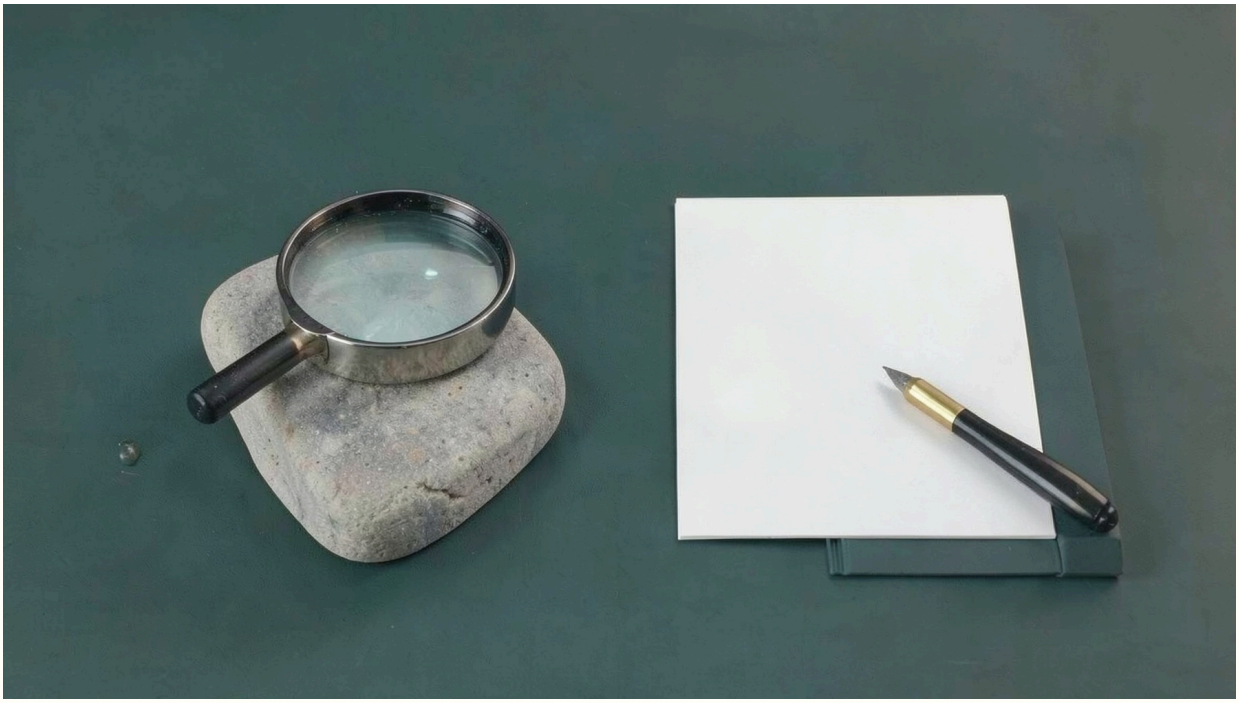
وفي مدخل باب الثبات والنصرة يدعونا المؤلف إلى فحص الأسماء التي نعطيها لأفعالنا. قد يسمي المرء إصراره ثباتًا، ويصف وقوفه مع أصحابه بالنصرة. ولهذا يظل السؤال قائمًا عن وجه الحق وعن موضع المشورة والعدل. سنقرأ على هذا الميزان موقفين، ونفصل في كل منهما بين ما يثبته الشاهد وما نستفيده نحن. ويمكن أن تبدأ القراءة بورقة ذات عمودين. دوّن في الأول ما تستطيع رده إلى مصدر محدد، وفي الثاني ما بدا لك من معنى. إذا بقيت جملة بلا موضع واضح، فاتركها للسؤال. ذلك أيسر من أن نعيدها بعد أن تصير في أذهاننا جزءًا من الخبر.



في خبر الغار، يروي أبو بكر رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ، وأنه نظر إلى أقدام القوم فوقهما. قال للنبي ﷺ ما معناه أن أحدهم لو نظر تحت قدميه لأبصرهما. فذكّره النبي ﷺ بأن الله معهما. هذه هي اللحظة التي ترويها القصة هنا. يمكن أن نقرأها من أولها إلى آخرها من غير أن نزيد عليها حركة لأحد، أو نعيّن ما الذي دار في نفسه، أو نصف ما فعله القوم بعدما وقفوا في ذلك الموضع.

في الخبر أمر قد يفوت القارئ إذا أسرع. أبو بكر هو الذي نظر، وهو الذي تكلم عمّا قد يحدث لو نظر أحد القوم تحت قدميه. وبين أن تقول إن الخطر كان قريبًا وبين أن تقول إن واحدًا منهم نظر فرآهما فرق كبير. الأولى يفهمها القارئ من الخبر، وأما الثانية فتضيف واقعة لم يذكرها. ويفرق الجواب أيضًا بين إدراك الخطر وبين الظن أن كل ما سيقع يتوقف على ما تراه العين. فالجواب يعيد الانتباه إلى معية الله، والخطر هو نفسه الذي وصفه أبو بكر قبل الجواب.

تأمل الآن صورة للقوة يمكن أن تفهمها من هذا القدر القليل. قد يكون من القوة أن ترى أمرًا يخيفك، ثم تصفه لمن معك بقدر ما تعلم. وأمانة الوصف أن تميّز بين ما رأيت وما ظننت أنه قد يقع. إذا رويت الخبر لصديق، فاحتفظ بهذا الفرق في كلامك. قل إن أبا بكر رأى الأقدام، وإنه قال ما قد يراه القوم لو نظروا. ثم اذكر جواب النبي ﷺ بالمعنى، واترك ما سكت عنه الخبر. حينها تصل إلى صديقك القصة التي قرأتها، وتبقى له فرصة أن يتأملها بنفسه.



لخبر الغار حدود تساعدك على فهمه. بعد أن تقرأه، اسأل نفسك ما الذي تستطيع أن تشير إليه في سطر من الرواية. ضع إصبعك على موضعه قبل أن تكتبه. ثم انتقل إلى سؤال آخر: ما الفائدة التي أفهمها أنا من هذا الموضع؟ حين تجيب، يمكنك أن تبدأ بقولك «أفهم من الخبر». بهذه الكلمات القليلة يعرف من يقرأ كلامك متى تنقل الرواية ومتى تتأملها.

من الفوائد التي يمكن أن نستخرجها أن الشجاعة تتسع للاعتراف بالخطر، وأن كلمة واضحة في وقت الشدة قد تعين صاحبها ومن معه. هذه فائدة نتأملها اليوم. تخيل أنك أنت الذي تنقل خبرًا سمعته عن زميل غاب عن المدرسة. قبل أن ترويه، اسأل من الذي عرف ما حدث، وما الذي قاله فعلًا. وإذا كان ما لديك مجرد توقع، فاذكره على أنه توقع أو انتظر حتى تسأل. حين يكثر الكلام ويقل ما يستطيع الناس التثبت منه، تصير قدرتك على التوقف جزءًا من أمانتك.

وللقوة امتحان آخر. قد تميل إلى تثبيت قولك لأنك قلته أمام أصحابك، أو إلى اتباعهم لأن الرجوع يصعب عليك. جرب أن تسأل شخصًا تثق به أن يسمع وصفك، ثم يدلك على الموضع الذي يحتاج إلى سؤال. فإن ظهر لك فرق بين وصفك وبين ما تعلمه،

صحح الكلمة التي أوهمت السامع. عندئذ تحمي حق زميلك في أن يُحكى عنه ما يُعرف، وتترك للسامع فرصة أن يحكم على الخبر كما هو. هذا باب صغير يمكنك أن تبدأ منه قبل أن تنتقل إلى موقف يحتاج فيه جمع من الناس إلى كلام يردّهم إلى ما يستطيعون التثبت منه.



لما توفي رسول الله ﷺ، خرج أبو بكر رضي الله عنه إلى الناس. كان عمر بن الخطاب يكلمهم، فأقبل الناس على أبي بكر حين تكلم. أخبرهم أبو بكر بوفاة محمد ﷺ، وذكّرهم بأن الله حي لا يموت. ثم تلا عليهم الآية الرابعة والأربعين بعد المئة من سورة آل عمران. هذا هو القدر الذي نحتاج إليه من الخبر لنفهم صلة الكلام الذي قاله بالآية التي قرأها في ذلك الموقف.

تبدأ الآية بذكر محمد ﷺ رسولًا سبقه رسل مضوا. وتسأل سامعيها إن كانوا سيرجعون عما هم عليه إن مات الرسول أو قتل. ثم تبيّن أن من يرجع لا يضر الله شيئًا، وتختم بأن الله سيجزي الشاكرين. اقرأها من المصحف، ثم ارجع إلى خبر

البخاري. ستجد أن أبا بكر ذكر الوفاة في كلامه، وأن الآية التي تلاها تضع موت الرسول في موضعه من أمر الرسالة والعبادة. هذا معنى تستطيع أن تقف عليه بمقابلة النصين.

يخبر ابن عباس رضي الله عنهما عن أثر أمكنه سماعه. صار يسمع الناس يتلون الآية بعدما تلقوها من أبي بكر. وفي الرواية نفسها يصف عمر ما وقع له حين سمعها، فيذكر أن رجليه لم تقلاه، وأنه هوى إلى الأرض حين سمع أبا بكر يتلوها وعلم أن النبي ﷺ قد مات. لكل واحد من هذين الشاهدين عبارته وموضعه. إذا أردت أن تتبين أثر تلاوة الآية، فابدأ بما رواه كل واحد منهما. ومن هنا يمكن أن تنتقل إلى تأمل المسؤولية التي تقع على من يتكلم حين يصغي الناس إلى قوله.

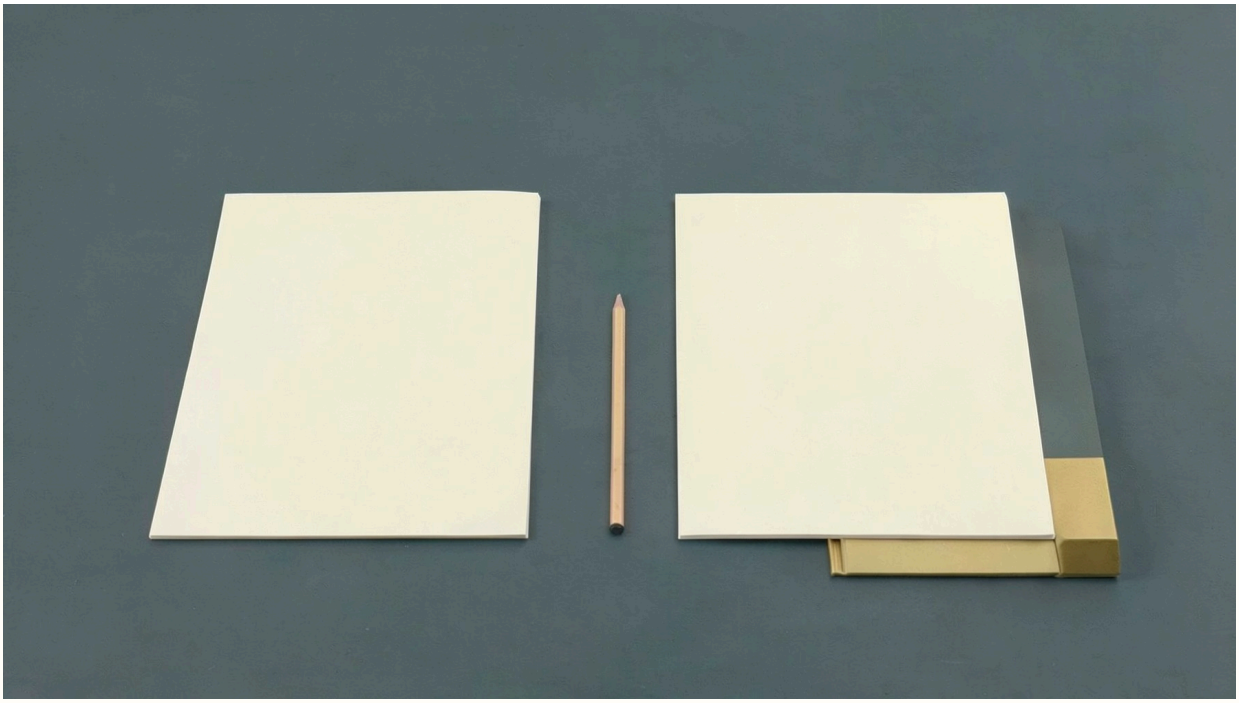


تأمل الموقفين معًا. في الغار، تكلم أبو بكر في أمر رآه، وكان يخاطب النبي ﷺ. وبعد وفاة النبي ﷺ، تكلم أبو بكر إلى جمع من الناس، وردّهم إلى آية يستطيعون تلاوتها. في الموقف الأول، تساعدنا الرواية على رؤية قيمة الكلام الدقيق حين يقترب الخطر.

وفي الموقف الثاني، تساعدنا على فهم مسؤولية من يصغي إليه الناس في وقت الاضطراب. يختلف المخاطَب ويختلف المطلوب من الكلمة، ويجمعهما سؤال واحد عن أمانة المتكلم فيما يستطيع أن يقوله.

ضع هذا السؤال أمام موقف يخصك اليوم. إذا كنت عضوًا في فريق مدرسي، فقد يكون عندك خبر عن موعد العمل أو سبب تأخره. قبل أن تنقله، حدّد ما تعرفه بنفسك، ثم اسأل زميلك عمّا بقي غامضًا. وإذا كنت ممن يرجع إليهم الفريق عند الخلاف، اتسعت مسؤوليتك. تستطيع أن تريهم الموعد في سجل العمل، وتذكر لكل واحد ما يتصل بدوره، وتمنحهم فرصة لتصحيح ما نقلته. بهذا يصبح في وسع الجميع الرجوع إلى أصل واحد وفحصه بأنفسهم.

لاحظ أثر انتقالك من إخبار شخص قريب إلى الكلام أمام فريق. في الحالة الثانية ستصل كلماتك إلى أشخاص لم يسمعوا أول الحديث، وقد يعتمدون عليها في ترتيب أعمالهم. فامنحهم قدرًا من الوضوح يمكّنهم من العمل، وبيّن أين يستطيعون مراجعة ما قلت. إن أخطأت في شيء من ذلك، فاجعل التصحيح يصل إلى من وصلهم قولك الأول. هذا تطبيق في حياتنا لمعنى الأمانة في استعمال ما نملكه من قدرة. ويمكنك أن تبدأ بخطوة صغيرة: اختر موضعًا يصغي إليك فيه الناس، وانظر كيف تجعل كلامك عونًا لهم على معرفة حقهم أو أداء عملهم.



اختر لهذا الأسبوع قدرة واحدة تستعملها في حياتك. قد تحسن تنظيم المواعيد، أو تعرف كيف تشرح تعليمات معقدة، أو تستطيع أن تفسح مجالًا لمن يتردد في الكلام. اكتب القدرة في أعلى ورقة. تحتها سطّر خدمة محددة يستطيع شخص آخر أن ينتفع بها. اجعلها صغيرة بحيث تستطيع أن تؤديها مرة واحدة ثم تنظر في أثرها. اكتب بجانبها اسم الحق الذي تريد حفظه، كحق كل عضو في فريقك في أن يعرف موعد تسليم عمله.

خذ مثالًا يمكنك تعديله. إذا كنت تحسن ترتيب المعلومات، فاتفق مع الفريق على وضع آخر موعد مؤكد في سجل يراه الجميع. سجّل مصدر الموعد وتاريخ تحديثه، واستأذن المسؤول قبل أن تغيّر شيئًا يخص عمل غيرك. اختر بعد ذلك طريقة للفحص. اطلب من زميل أن يصل إلى الموعد من السجل وحده، ثم قارن ما قرأه بالموعد الذي أقره الفريق. إذا اختلفا، عُد معه إلى السطر الذي أربكه وأصلحه. اطلب منه أن يجرب مرة أخرى، وسجّل النتيجة بعبارة قصيرة. هكذا يكون للقدرة أثر يمكن فحصه.

في آخر الأسبوع، اقرأ ما كتبت أول مرة وما سجلته بعد التجربة. اسأل نفسك هل استطاع الشخص الآخر الانتفاع بالخدمة كما قصدت، وهل بقي له حق السؤال والتصحيح. اكتب جوابك في سطرين. إن بقي أمر يحتاج إلى إذن أو تحقق، فاذكره وحدد ممن ستطلبه. ثم اختر عملًا واحدًا تداوم عليه مما جربته. مع الوقت ستعرف قوتك من العمل الذي تقدر عليه، وستعرف أمانتها من الحق الذي تحرص على حفظه في كل مرة.